

منبر المحراب

إعداد النبي الأمة لما بعد الرحيل

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٢١-٢١/صفر/١٤٣٠ هـ

الموافق ١٧/شباط/٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- إعداد النبي للأمة ثلاثي الأركان:
- الإعداد النبوي لعلي عليه السلام
- تحديد النبي ﷺ لموقع خلفائه ووظائفهم

الهدف: التعرف الى منهج النبي ﷺ

في تربية الأمة لمرحلة ما بعد رحيله.

تصدير الموضوع: روي عن رسول

الله ﷺ أنه قال: «يَا جُنْدُبُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَدَمَ فِي عِلْمِهِ وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي خَلْقِهِ وَإِلَى مُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ وَإِلَى عِيسَى فِي سِيَاحَتِهِ وَإِلَى أَيُّوبَ فِي صَبْرِهِ وَبِلَاثِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمُقَابِلِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ السَّارِي وَكَوَكَبِ الدَّرِّي أَشْجَعُ النَّاسِ قَلْبًا وَأَسْحَى النَّاسِ كَفًّا فَعَلَى مِبْغَضِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ قَالَ فَاتَّقَتِ النَّاسُ يَنْظُرُونَ مِنْ هَذَا الْمُقْبِلِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، بِحَارِ الْأَنْوَارِ ٩٣-٨٣ باب / ٢٧ أَنْ فِيهِ خِصَالُ الْأَنْبِيَاءِ

١- إعداد النبي للأمة ثلاثي الأركان:

لقد كرم الله تعالى البشر، أن خلقهم، ومنّ عليهم بنعمة الإنسانية، وفضلهم على المخلوقات بنعمة العقل، وأودع فيهم القوى والقابليات بلوغ المرامات، وتحقيق الكمالات، التي تمكّنهم من العيش بأمان واستقرار، وتكفل لهم بحياة إنسانية منسجمة ومتوازنة: في جوانب حياتهم النفسية والفردية والاجتماعية، وهذا ما عزّز قيمة الإنسان، وجعله عنصراً فاعلاً وساعياً للكمال والتميز، ونافراً من النقص والعجز والفشل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى



كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (الإسراء: ٧٠) وحتى لا يقع الإنسان في ظلمات الجهل حرص على تعليمه، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٥)، و﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْمِهِ الْبَيِّنِ﴾ (الرحمن: ٣-٤) ورسم له طريق الهدى بما أرسل من أنبياء وأنزل من وشرائع، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

وقد قام النبي ﷺ بإعداد الأمة وتربيتها خير إعداد وتربية. ويستند الإعداد النبوي للمجتمع الإنساني الى دعوة الأمة إلى الإيمان بأصول الدين الإسلامي وأركانه ومبادئه، والالتزام العملي بأحكامه الشرعية، وتربية النفس على الملكات والفضائل الأخلاقية، وهذا ما يتجلى في مكونات الدين الإسلامي الأساسية التي يمكن جمعها بالأمور الثلاثة الآتية:

أ- النظام (الفقه):

يمثل الفقه الإسلامي الجنية القانونية والنظامية في الشريعة الإسلامية، التي تنظم حياة الإنسان كفرد، وكجزء من المجتمع في مختلف المجالات، بلا فرق بين علاقته العبادية بالله تعالى من خلال نظام العبادات بواجباته ومستحباته وسننه، وبين علاقاته الأسرية داخل أسرته، وعلاقاته الاجتماعية داخل مجتمعه، أو معاملاته المالية والتجارية

والكسبية المختلفة... فلا بد للحياة الإنسانية من قانون يحميها، وينشر العدل والخير، ويمنع الظلم والشر، ويحقق لها أهدافها السامية، وينظم الاجتماع البشري، وهو ما تكفل النبي ﷺ بتعليمه للبشرية من خلال الشريعة الإسلامية التي تتطابق بمبادئها وأهدافها مع طبيعة

الفطرة الإنسانية، وتستوعب حاجات الإنسان كافة، وتنظمها تنظيمًا دقيقًا.

ب- الأخلاق: وصف القرآن الكريم النبي محمدًا بصاحب الخلق العظيم، نظراً لحرص النبي ﷺ واهتمامه بممارسة الأخلاق في سيرته وسلوكه، قبل دعوة الناس إليها، وذلك نظراً لما للأخلاق من آثار إيجابية على النفس الإنسانية، لناحية تهذيبها وتركيبتها.

وعلم الأخلاق هو العلم الذي يبعث الكمال في النفس البشرية، وينمي القوة والاستقلال في العقل البشري، وهو العلم الذي يساير الإنسانية في اتجاهاتها، ويوجهها عند حيرتها، ويأخذ بيد العقل عند اضطرابه، ويمده بالقوة عند ضعفه، وهو الأمانة الكبيرة التي يجب على كل كائن عاقل أن يؤديها إلى كل كائن عاقل، هي إحدى الجهات الإنسانية التي عني بها نبي الإسلام، واهتم بها اهتماماً كبيراً، والذي يستقصي تعاليم الكتاب وإرشادات السنة يعلم مقدار هذا الاهتمام، ومبلغ هذه العناية. وهذه الظاهرة من الدين الإسلامي إحدى مميزاته عن سائر الأديان، وإحدى مؤهلاته للخلود.

ج- العقيدة: ويراد منها تأسيس البنية الإيمانية، والعقدية، والفكرية السليمة، والثابتة والقوية، التي تفرس في الإنسان الإيمان بالله تعالى، الذي يعكس ممارسة عقائدية عملية في مختلف المواقف، ومن أهم تلك الأمور التي عمل النبي عليها تربية الأمة عليه هي قضية قيادة المجتمع والأمة من بعده من خلال الإمامة والولاية، وهو ما لاحظته في حرصه الشخصي على تربية خليفته منذ نعومة أظفاره وحتى أواخر لحظات حياته.

٢- الإعداد النبوي لعلي عليه السلام: كان النبي ﷺ يتردد كثيراً على دار عمه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة

إليه يصعد الكلم الطيب

أن المرجعية الدينية والعلمية للمسلمين في أمور الشريعة والأحكام الإسلامية وغيرها بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، كانت للأئمة المعصومين ﷺ، إلى جانب قيادتهم العامة للأمة والمجتمع، فورد عن الإمام علي ﷺ قوله: «عباد الله أبصروا عيب معادن الجور، وعليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته: فإن العلم الذي نزل به آدم ﷺ وجميع ما فضل به النبيون ﷺ في محمد خاتم النبيين ﷺ وفي عترته الطاهرين ﷺ، فأين يتاه بكم؟ بل أين تذهبون؟»^(١)، فلإمام منصب المرجعية الدينية، بمعنى أن النبي ﷺ قد علمه كليات الإسلام، وما هو موجود، وما ينبغي أن يكون، ثم عرفه للأمة، وأمر الناس بالرجوع في مسائل دينهم إلى وصيه، وأوصيائه من بعده، وهذا لا يعني أن الأئمة ﷺ يوحى لهم، بل هو من باب أن مثل هذا الموقع لا يتصدى له سوى الإنسان الكامل المعصوم، المحدد بالنص.

الأمر الثاني: موقع الإمامة: إن موقع الإمامة ووظيفة الإمام مستمدان ومرتبطان بموقع النبي ﷺ ووظيفة النبوة، ومن هنا فإن الإمامة - كما يعتقد الإمامية - هي مسألة إلهية، وسمائية ولهذا فمن اللازم أن يتم تعيين خليفة النبي عبر الوحي الإلهي ويقوم النبي بإبلاغه إلى الناس، وأدلة هذا الأمر كثيرة في أحاديث النبي ﷺ منها: حديث الغدير، حديث يوم الدار، حديث المنزلة، حديث السقيفة، حديث الثقلين وغيرها.

الأمر الثالث: تنصيب الإمام: لا بد من نصب الإمام وتعيينه من قبل الله تعالى، وأن يملك الإمام العلم الموهوب له من الله، والمصون عن الخطأ بالعصمة، بما ينسجم مع تولي قيادة الأمة ومرجعيتها، فختم النبوة إنما يكون موافقاً للحكمة الإلهية فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم ﷺ، الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام ﷺ عدا النبوة والرسالة.

(٩) أصول الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم.

ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة»^(٢).

ب- مبادرة النبي ﷺ لتعليمه: و يدل على انتقال علم رسول الله ﷺ وعمله إليه وتجلي كماله فيه، وهو ما أشار إليه ﷺ بقوله: «وكان لا يمر من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته»^(٣)، وقوله ﷺ «لأنني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سألته ابتدأني»^(٤).

ج- علمه بأسرار القرآن: وقوله ﷺ: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت»^(٥) ولهذا وصفه رسول الله ﷺ بأعلم الناس حيث قال: «علي أعلم الناس بالكتاب والسنة»^(٦)، وإلى هذا يشير الإمام ﷺ في رواية معتبرة مروية عنه ﷺ «... فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال، ولا حرام، ولا أمر، ولا نهى، كان أو يكون منزلاً علي أحد قبله، من طاعة أو معصية إلا علمني به وحفظته، فلم أسس حرفاً واحداً...»^(٧).

٣- تحديد النبي ﷺ لموقع خلفائه ووظائفهم:

لقد حرص النبي ﷺ على شرح وبيان موقع الأئمة المعصومين ﷺ ووظائفهم، على مستوى الشريعة وقيادة الأمة بعد وفاة النبي ﷺ، وهذا ما يمكن إيجازه بالأمور الآتية:

الأمر الأول: ما ينبغي التأكيد عليه هنا

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٩٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٠.

(٤) المصدر نفسه الخطبة ٢٠٨.

(٥) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٩٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٧) الحياة السياسية والفكرية لأئمة أهل البيت

ﷺ، ص ٧٤.

وعيشه معها في دار منفردة. وكان يشمل علياً ﷺ بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله على صدره، ويحرك مهبه عند نومه إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية (بحار الأنوار: ٥٣/ ٢٤). وقد كفه النبي منذ نعومة أظفاره، ولم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فأتبعه علي ﷺ فأمن به وصدقه، (يراجع: تاريخ الطبري: ٢/ ٨٥ ط، وشرح ابن أبي الحديد: ٢١/ ٨٩١ وكشف الغمة: ١/ ١).

وهكذا أن علياً ﷺ أن يعيش مبكراً في كنف رسول الله ﷺ حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماوية السامية، ونهل من ينابيع مودته وحنانه، ورياه وفقاً لما علمه ربه تعالى. ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، ولهذا لم ير الإمام علي ﷺ بعيداً عن رسول الله ﷺ إلا نادراً، وما من أمر حدث إلا كان لعلي ﷺ معلّم فيه وأثر، وللتأكيد على هذا اختاره النبي ﷺ أخاً له لتزداد هذه العلاقة وثوقاً ومتانة، وقال في ذلك: «علي مني» وقال جبرائيل: «وأنا منكما»^(١). وما يؤكّد هذه العلاقة والدرجة الرفيعة لعلي عند النبي ﷺ ما ورد عن أبي سعيد الخدري من قوله: «كانت لعلي درجة لم تكن لأحد من الناس»^(٢).

ويتجلى اهتمام رسول الله ﷺ بتربية وتعليم علي ﷺ وإعداده للإمامة والقيادة في العديد من النصوص والمواقف، نذكر منها بعض ما له صلة ببحثنا ونحيل الباقي إلى مصادره:

أ- ملازمة علي ﷺ لرسول الله ﷺ: وقد عبر الإمام علي ﷺ نفسه عن هذه الصحبة بقوله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحرّاً فأراه

(١) الكافي، ٢/ ٢٣/ ونهج البلاغة ٢٢٥، الخطبة رقم ٢١٠.

(٢) حياة الصحابة، ج ١، ص ٥٥٩.